الشعر التعليمي :

فنٌّ أدبيٌّ جديد . اقتحم الشعراءُ بابه في العصر العباسي ، تسهيلاً لحفظ العلوم واستظهار المعارف ولاسيما بعد الاقبال على التعلّم والرغبة الشديد في طلب المعرفة . وهو في الغالب يفتقر الى العاطفة والخيال ويخاطب العقل . ويتميز بطول النفس الشعري واعتماده الرجز وتنوع القافية .

ويُعدُّ أبان بن عبدالحميد اللاحقي فارسَ الشعراء في هذا اللون من النظم . فله مزدوجةٌ في خمسة آلاف بيت تقريباً كما يقول ابن المعتز(٢٦٢) . استفرغ فيها كتاب كليلة ودمنة . وقد نقل الصولي منها بضعةً وسبعين بيتاً . جاء فيها(٢٦٣) :

---

(٢٦١) شعره ص ١٩٣ .

(٢٦٢) الأغاني ١٣ : ٢٢٧ .

(٢٦٣) طبقات الشعراء ص ٢٤١ .

(٢٦٤) أخبار الشعراء المحدثين ص ٤٦ ، وينظر الاغاني ٢٢ : ١٥٥

وربـــما كان هلاك الـــشَّـــجرِ في حسنِ الغُصنِ وطيبِ الثمرِ
وذنبُ الـطاووس فهو زينُـه كذاك أحياناً وفيـه خـيْـنـه
وباذلُ النُصح لمن لم يشكُره كطارح في سَبخ ما يبذره
لاخيرَ للعاقل في ذي المنظرِ إنْ هو لم يحمدْهُ عند المخبرِ
وليس في الصديق ذي الصَّفاء خيرٌ إذا لم يكُ ذا وفاء

وله أيضاً مزدوجة طويلةٌ شرح فيها أحكام الصوم والزكاة . أولها :(٢٦٥)

هذا كتابُ الصَّومِ وهو جامعٌ لـكـلّ ما قامـتْ بـه الـشَّرائـعُ
مِـن ذلـك الـمُـنزَّل في الـقرآنِ فضلاً على مَنْ كان ذا بيانِ
ومـنـه ماجاء عـن الـنـبـيِّ مـن عـهدِه الـمـتَّبع الـمرضيِّ
صـلّى الإلـهُ وعـلـيـه سَـلَّـما كـمـا هَدى الله بـه وعـلَّـمـا

وسلك ابنه حمدان بن ابان هذا المسلك . ونظم مزدوجةً في وصف الحبّ وأهله . منها(٢٦٦)

يأيُّـها الـنـاسُ فـعُوا وصيـتـي واسـتـمـعوا
فـفـي صفاتي عجبٌ وفـي كـتـابـي أدب
قـصـيدتـي مـقوَّمةٌ ألـفاظُـها مـنـظَّـمةٌ
فـيـهـا هوى الـعشـاق ومـنـيـةُ الـمـشـتاق

وفي علم الحيوان نظم بِشْرُ بن المُعْتَمِر قصيدتين فيهما غرائب وفرائد كما قال الجاحظ .(٢٦٧) وفي تاريخ الطب نظم اسحاق بن حنين قصيدة(٢٦٨) . وفي علم الفلك نظم محمد بن ابراهيم الفزاري مزدوجة طويلة تقع مع تفسيرها في عشرة مجلدات، كما يقول ياقوت الحموي . أولها(٢٦٩)

الـحـمد لله الـعـلـي الأعـظـم ذي الفَضْلِ والمجد الكبيرِ الأكرم
الواحدِ الفردِ الجوادِ المنعم
الـخالـقِ الـسَّـبْـعَ الـعُـلَـى طـباقا والشمسَ يجلو ضوؤها الإغساقا
والبدرَ يملأ نورُهُ الآفاقا

---

(٢٦٥) أخبار الشعراء المحدثين ص ٥١ .
(٢٦٦) أخبار الشعراء المحدثين ص ٥٨ .
(٢٦٧) الحيوان ٦ : ٢٨٤ .
(٢٦٨) شعراء النصرانية بعد الاسلام ص ٢٤٩ .

وشاركَ الشعراءُ في تدوين التاريخ شعراً . ولعل أحداً لم يسبق علي بن الجهم . فهو الذي فتح هذا الباب ونظم مزدوجةً في أكثر من ثلاثمئة بيت . تناول فيها بدء الخليقة وتاريخ الانبياء . كما حكى تاريخ الأسلام منذ بعثةِ الرسول محمد صلّى الله عليه وسلم حتى خلافة المستعين . منها قوله(٢٧٠)

ثم أزال الظُّلمة الضِّباءُ ... وعاودتْ جِدَّتها الاشياءُ
ودانتِ الشُّعوبُ والأحياءُ ... وجاءَ ما ليس به خفاءُ
أتاهمُ المنتجبُ الاواهُ ... محمدٌ صلّى عليه اللهُ

وبعد علي بن الجهم جاء ابن المعتز في نظم تاريخ الخلفاء . إذ نجد له مزدوجة طويلة في سيرة الخليفة المعتضد وأحداث عصره تقع في أربعمئة وتسعة عشر بيتاً . أولها : (٢٧١)

باسم الإلهِ الملكِ الرحمنِ ... ذي العزِّ والقدرة والسُّلطانِ
الحمدُ لله على آلائه ... أحمدُهُ والحمدُ من نعمائه
أبدعَ خلقاً لم يكن فكاناً ... وأظهرَ الحجَّة والبيانا
وأرسلَ الرُّسلَ بحقٍّ ساطعِ ... قاهرِ كلِّ باطلٍ وقامعِ

ويُعلق الدكتور طه حسين على هذه المزدوجة . ومزدوجة أخرى لابن المعتز امتدت نحو مائة وعشرين بيتاً في ذم الصبوح وحمد الغبوق(٢٧٢) . فيقول : « لن أبالغ ولن أغلو . حين أوصي بقراءة هاتين القصيدتين . لا لأنَّ واحدة منهما تذمّ الصبوحَ وتحمد الغبوق . ولا لأن الأخرى تتناول حوادث تاريخية قد نجدها في سهولة في الكتب التاريخية بل لأن في قراءة هذا النوع ماقد يبعث شعراءنا على محاكاة هذا الشعر . وأوكد لكم أن هذه المحاكاة تعودُ بشيء كثير على الشعر في هذا العصر . فأجمل مافيه أنه بريّ كلَّ البراءةِ من التكلُّف . لم يبحث عن لفظ غريب . ولم يتكلّف معنى غريباً . إنما هو يأخذ الأشياء التي حوله . فيعبر عنها

---

(٢٦٩) معجم الأدباء ٦ : ٢٦٨

(٢٧٠) ديوانه ص ٢٤٢ .

(٢٧١) ديوانه ١ : ٥١٩ .

(٢٧٢) الغبوق : الشرب آخر النهار مقابل الصبوح . تنظر المزدوجة في ديوان ابن المعتز ٢ : ٥٢٨ وأخبار أولاد الخلفاء ٢٥١ .

بالالفاظ التي تدور على ألسنة الناس جمعياً»(٢٧٣). أما الدكتور عزالدين اسماعيل فيقول: «وقد كان من الممكن ان يتطور هذا اللون من الفن الشعري الى نوع من الشعر الملحمي، ففيه النفس غير يسير منه. ولكن ما يؤسف له أنه تطور في اتجاه آخر لا ينتمي في كثير أو قليل الى الفن الأدبي، وذلك عندما راح المشتغلون بفروع العلم المختلفة ينظمون المادة العلمية في أراجيز مزدوجة من هذا الطراز. تكون بمثابة متون يحفظها الآخذون في تحصيل هذه العلوم».(٢٧٤). لقد كان التعلّم آنذاك يعتمد كثيراً على الحفظ والشرح. حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. والمتون اللغوية. والقصائد الشعرية الجيدة. وكل المعارف المتصلة بعلوم اللغة العربية وآدابها ... ولذلك كثر هذا اللون من النظم بأسلوب سهل ميسور، ولم يتجاوز الغاية التعليمية، ولم يتطور في إتجاه آخر. وتناول الشعر التعليمي الوعظ والارشاد والتهذيب. وكذلك الحكم والأمثال كما تلاحظ في أرجوزة أبي العتاهية المعروفة بـ (ذات الأمثال)) التي نيفت على أربعة آلاف مثل كما يقول أبو الفرج الأصبهاني(٢٧٥) منها قوله:

لكلّ ما يؤذي وان قلّ ألمْ ... ما أطولَ الليلَ على مَنْ لم يَنَمْ
ما انتفع المرءُ بمثلِ عقلِه ... وخيرُ ذُخرِ المرءِ حُسْنُ فِعلِه
إن الفسادَ ضدّهُ الصلاحُ ... ورُبَّ جِدٍّ جرّهُ المزاحُ
إنّ الشّبابَ والفراغَ والجِدَه ... مفسدةٌ للمرءِ أيَّ مفسدة

وظلّ الشعر التعليمي قائماً. وزاد الاقبال على نظمه بمرور الايام. حتى أصبحنا نرى في العصور اللاحقة كثيراً من المنظومات في الفقه والطب والمنطق والحساب والتاريخ والنحو والصرف والبلاغة والخط ..

---

(٢٧٣) من حديث الشعر والنثر ص ١٩٩.
(٢٧٤) في الأدب العباسي، الرؤية والفن ص ٤٠٨.
(٢٧٥) الاغاني ٤ : ٣٩. وقد وصل الينا من هذه الأرجوزة ثلاث مئة وعشرون بيتا (ينظر أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٤٤٤ ـ ٤٩٥).